

العامة في أواخر العصر العباسي ولعهد الأيلخاني

(٥٧٥ هـ - ٧٣٨ هـ)

اكرم ضياء العمري

تمهيد :-

ان استعمال كلمة العامة بدأ في فترة متقدمة ، فقد ورد ذكر العامة في احد الاحاديث الشريفة حيث جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة في الدخول عليه^(١) . والنص يفيدنا الى جانب معرفة قدم استعمال الكلمة في بيان انقسام الناس الى عامة وخاصة منذ تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي ، ولاشك ان ذلك الانقسام كان على اساس تقواهم وعملهم وكفاءتهم فقيادة الجيوش الاسلامية ومستشارو النبي (ص) وكبار الصحابة وأولوا السابقة كانوا يمثلون الخاصة في مجتمع المدينة المنورة ، وبقية الناس هم العامة .

ان هذا الاساس الذي وضعه الاسلام في تمييز الناس وتقديم بعضهم على البعض الاخر استمر يتحكم في مقاييس المجتمع الاسلامي فيما بعد ، وعلى مر الزمن اخذت طبقة العامة تتبلور حتى اذا حل القرن السادس أصبحت للعامة سمات ظاهرة ومعالم بارزة وحدود معروفة ، ومن ثم نجد شيوع استعمالها في كتب التاريخ والادب المؤلفة في هذه الفترة وفي الفترات التي تليها ، بل نجد ان اسم العامة يطلق على احد ابواب دار الخلافة الثلاثة وهو باب العامة^(٢) .

(١) ابن منظور لسان العرب ، ج ١٥ / ٣٢١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ / ٣٠٨ .

تحديد معنى العامة :-

لعل خير تمييز لحدود هذه الطبقة ان نحدد ما تعنيه كلمة الخاصة في هذه الفترة حيث ان بقية الناس سيمثلون العامة . فالخاصة في هذه الفترة هم الخليفة وفيما بعد سلاطين المغول والامراء والولاة والقضاة والصدور والنظار والعلماء والكتاب وكبار التجار واشراف الناس كزعماء العلويين والهاشميين ومن في طبقة هؤلاء .

اما بقية الناس فهم الذين يندرجون تحت مصطلح العامة ، وهم في العادة يزاولون مهنا متنوعة في الزراعة والصناعة ، وربما يكون من المفيد هنا ان اذكر انواع المهن التي كان يمارسها العامة في هذه الفترة ، لقد ورد في مصادر هذه الفترة ذكر بعض المهن مثل الجليّة - أي المبيضين والصفّارين والباعة^(٣) المتجولين والقصايين وحراس الدروب والنوتية - أي الملاحين - والخياطين والصاغة والخدم والوساقية والبوابين والمؤذنين والطستدارية والسرندارية والمطربين والفراشين والسقاين والناقوسيين والوقادين للحمامات والنجارين والعطارين والريحانين والنيارين^(٤) والمخلطين والمحفدارية والجمالين والنفاطين^(٥) والساقية والبراجين وصناع التناير والفعلة والغسالين والجمالين ودلالي العقار والطباخين في الاسواق . فهذه المهن واشباهها هي التي كان يمارسها العامة في العراق في هذه الفترة .

ويجدر هنا ان اشير الى ان هذا التقسيم للناس الى طبقتين ، عامة وخاصة لا يعني ابدا وجود حواجز طبقية في المجتمع الاسلامي في هذه الفترة ، فقد كان المجتمع الاسلامي في هذه الفترة مجتمعا مفتوحا لا نجد

(٣) كان هناك متولي لامر الباعة . (الحوادث الجامعة / ١٤٧) .

(٤) النيار : هو الذي يصلح سدى الثوب قبل حياكته فيدخل خيوطه فيما يشبه النير ليكون صالحا للحوك (مصطفى جواد ، هامش تلخيص مجمع الآداب ، قسم ١ ، ج ٤ / ١٣٢) .

(٥) النفاط هنا يعني حامل الضوء (ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول / ٤٢٢ وانظر ابن القفطي في تاريخ الحكماء / ١٤٥) .

فيه تلك الحواجز الطبقيّة التي تطالعا عند دراسة المجتمع الاوربي في العصور الوسطى فالعامي في المجتمع الاسلامي يستطيع الصعود في السلم الاجتماعي حتى يتبوأ مركزا يجعله من أخص الخاصة مثال ذلك ان الوزير مؤيد الدين محمد بن احمد بن القصاب هو أعجمي الاصل ، كان ابوه قصابا يبيع اللحم على رأس درب البصريين ببغداد ، ونشأ هو مشتغلا بالعلوم والاداب حتى اختاره الناصر لدين الله وزيرا له^(٦) . واستمر انفتاح المجتمع الاسلامي ومروته خلال العهد الايلخاني ، فهذا العميد شمس الدين علي بن الاعوج المتوفي سنة ٦٧٦ هـ كان حمالا وأميا ، ثم صار بائعا للغلة والتمور في الخانات ثم تولى تمغات بغداد فاثرت حاله واستعمل مع الناس والمتصرفين واهل الثنات والمروءة^(٧) . وهكذا يُظهر الواقع التاريخي مدى انفتاح المجتمع الاسلامي امام سائر افراده على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ومن ثم فان هناك جسرا واسعا يصل بين العامة والخاصة ، وليس هناك ثمة حاجز صلب يقطع هذا الجسر ويسنع المرور عليه .

قلمنا في بياننا ونسبنا في بياننا بالقبائل (١) في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا

قلمنا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا

قلمنا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا

قلمنا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا
في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا في بياننا

(٦) ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية / ٢٨٩ .
(٧) الحوادث الجامعة / ٣٩٦ .

الفصل الأول

العقائد والاعراف السائدة في حياة العامة

تميل العامة الى المبالغة والتهويل ، ومن ثم فاننا كثيرا ما نقرأ في اخبار هذه الفترة امورا كانت العامة تبالغ في الاعتقاد بصحتها . فحكايات الجن والأعيب السحر وكثرة الاولياء وعجائب الرؤى امور شاعت في اوساط الناس وبالغت العامة فيها . وسأستعرض في هذا الفصل جملة من تلك الحكايات والاخبار الطريفة ثم انتقل بعدها للتحدث عن بعض التقاليد الاجتماعية :

حكايات الجن :

كانت حكايات الجن تتناقلها السنة العامة . فبين فترة واخرى تظهر حكاية من هذه الحكايات التي كانت العامة تقوم لها وتقعده ، ومن غريب الحكايات ما حدث سنة ٦٤٦ هـ حين اصاب أهل بغداد مرض الخناق فمات الكثيرون بهذا المرض ، فزعمت امرأة انها رأت في المنام امرأة من الجن تكنى ام عنقود قالت لها « ان ابني مات في هذا البئر » وأشارت الى بئر داخل سوق السلطان « ولم يعزني فيه احد فلهذا اخنقكم »^(٨) . وشاع خبر رؤيا هذه المرأة في الناس فقصده العوام من الرجال والنساء والصبيان البئر المذكورة ، ونصبوا عند البئر خيمة واقاموا هناك العزاء وكانت النساء ينحنن ويقلن .

مات عنقود وما درينا

اي ام عنقود اعذرينا

لا تحردين منا فتخنقينا

لما درينا كلنا قد جينا

والقى الناس في البئر الثياب والحلى والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلواء ، واشعلوا عندها الشموع ، فعاب العقلاء واكابر الناس ذلك وانكروه ، فحضر الشحنة الى هناك وقال « ان الديوان قد اقام ام عنقود من العزاء » وامر بسد البئر فترق الناس عنها^(٩) وقد اورد ابن الوردي هذه القصة عن ابن الاثير في حوادث سنة ٦٠٠ هـ وذكر انها وقعت

(٨) ذكر ابن الساعي في الجامع المختصر / ٩٢ مثل هذه الخرافة في حوادث

سنة ٤٥٠ هـ ، حيث خرج أهل بغداد الى المقابر ينوحون ويلطمون على

وفاة سيدوك ملك الجن المزعوم .

(٩) الحوادث الجامعة / ص ٢٢٧ .

بالموصل (١٠) . ولم اجد هذه الرواية في ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٠ هـ ، وعلى اية حال فلا مانع من تكرار الحادثة فالعامية في كل مكان تستهويها أخبار الجن وتملك عليها حسنها .

السحر :

كان السحر شائعا في المجتمع خلال هذه الفترة ، وكان المغول يكرهون السحر اشد الكراهية (١١) . اذ كانوا يخافون منه فقد ارتاع بعض امراء المغول الكبار مثل سونجاق آقا وأروق عندهم اوجدوا بين امتعة مجد الملك قطعة من جلد الاسد عليها خط غير مقروء ، وقد كتب عليها شيء بالاصفر والاحمر ، وقد طلبوا من مجد الملك ان يشربها لكي يلحق به شرب السحر ولكنه أبى لانه خشى ان تكون التعويذة من سحر الشيخ عبدالرحمن ، ثم اقنعه الشيخ عبدالرحمن فشربها وقتل (١٢) والشيخ عبدالرحمن هذا كان اعظم سحرة هذا العصر ، ذكر ابن الفوطي أنه كان من جملة فراشي السدة زمن المستعصم واسر في واقعة بغداد واتصل بالسلطان المغولي أباقاخان فقام باعماله السحرية ، وكان مولعا بالكيمياء والسيمياء وانواع الحيل حتى اعتقد به أباقاخان وقربه اليه وعظم شأنه عنده (١٣) .

عجائب واسرار :

كثيرا ما تضيى العوام على بعض الاماكن قدسية وتحيطها بالاسرار وتحيك حولها القصص مما يوحيه الخيال الخصب ، فقد كان في مدينة اربيل مسجد يسمى مسجد الكف ، لان فيه حجرا عليه اثر كف انسان ، ولاهل اربيل فيه أقاويل كثيرة (١٤) . ويقول القزويني لا ريب انه شيء عجيب . وهكذا احال اهل اربيل القصص واحاطوا الكف المطبوع على الحجر بالاسرار ، وكان في مسجد البصرة صومعة تتحرك بزعم أهل البصرة عند ذكر علي بن أبي طالب (رض)، والواقع ان في أحد اركانها مقبض خشب مسمر فيها فان حرك المقبض اهتزت الصومعة (١٥) .

(١٠) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ص ٣٧١ .

(١١) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) الحوادث الجامعة / ٤٣١ .

(١٤) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٢٩٠ .

(١٥) ابن بطوطة / ١١٦ .

وكان فيما بين البصرة والابلة متعبد سهل بن عبدالله التستري فاذا
 حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي ويدعون
 عند ذلك تبركا بهذا المولى (رضي) (١٦) . وفي الحلة يوجد المسجد على
 بابه ستر حرير مسدول وهم يسونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم
 ان يخرج في كل ليلة مائة رجل من اهل المدينة وبأيديهم سيوف مشهورة
 فيأتون امير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه فرسا مسرجا أو بغلة كذلك
 ويضربون الطبول والانتفار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون
 رجلا منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها . ويأتون مشهد
 صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله صاحب الزمان باسم الله
 اخرج ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا اوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق
 والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق والاطبال والأنتفار الى
 صلاة المغرب ، وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك
 المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم * .

زيارة الاضحة المقدسة :

كان الناس يزورون الاماكن المقدسة ، فكانوا يقصدون المشهد الكاظمي
 ويزدحمون فيه حتى مات من شدة الزحام سنة ٦٠١ هـ سبعة عشر رجلا
 وامراتان وقيل اكثر من ذلك وطارت عمائم الناس وذهبت مداساتهم (١٧) .
 وقد امر الخليفة المستنصر بعمل مزملة بالقرب من قبر أحمد من حنبل (رض)
 لاجل الزوار الواردين (١٨) .

وقد ذكر ابن بطوطة في زيارته بغداد سنة ٧٢٧ هـ زمن السلطان ابي
 سعيد بهادر خان ان اهل بغداد كانوا يزورون قبور الائمة ابي حنيفة
 واحمد بن حنبل ، وابي بكر الشبلي من ائمة المتصوفة وسري السقطي
 وبشر الحافي وداؤد الطائي ، وابي القاسم الجنيد ، فكان لاهل بغداد يوم
 في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه وهكذا
 الى آخر الاسبوع .

وكان من عادة اهل الموصل الخروج في كل ليلة جمعة الى رباط النبي

(١٦) المصدر السابق / ١١٧ .

(* المصدر السابق أيضا / ١١٩ .

(١٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ١٤٦ .

(١٨) الحوادث الجامعة / ٩١ .

يونس عليه السلام في تل التوبة على نحو ميل من دجلة ، وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومظاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد ، وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر ينغلق دونه باب كريم مرصع كله يقال انه كان الموضع الذي وقف فيه يونس (ص) ومحراب هذا البيت يقال انه كان بيته الذي كان يتعبد فيه ، ويظن بهذا البيت شمع كانه جذوع النخل عظما^(١٩) .

وكذلك كان الناس يقصدون دير الجبّ بين الموصل واربيل لدفع الصرع عنهم حسب ما يعتقدون^(٢٠) . وفي كربلاء حيث الروضة المقدسة وعليها الحجاب والقوامة كان لا يدخل أحد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب استار الحرير^(٢١) . ولاهل الذمة في العراق اماكن يقدسونها ويزورونها اذ ذكر القزويني أن بابل جب دانيال عليه السلام يقصده اليهود والنصارى ايام اعيادهم^(٢٢) .

وبالاضافة الى زيارة الاضرحة المقدسة فان اهواء العوام قد تجعلهم يقدسون قبرا لمجرد ان احدهم زعم أنه رأى بالمنام احد اولاد الحسن فيه كما حدث ذلك سنة ٦٧٦ هـ حيث انهال الناس لزيارة قبر بمحلة الهروية حيث زعم رجل انه قبر احد اولاد الحسن . ثم شرعوا في عمارته وتواترت بعد ذلك اخبار العوام يرون المنامات وكثرة الظواهر وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح اعين الاضراء . وترك الناس أعمالهم وانشغلوا بذلك فما كان من صاحب الديوان الا ان أمر بنقل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام فسكن العوام^(٢٣) . وقد سبق ان رأى رجل ببغداد في المنام سنة ٦٧١ هـ ان بعض اولاد الحسن في موضع بقراح ابي الشحم . فاقاموا فيه قبرا وحضر خلق كثير للزيارة ، وكذلك زعم الناس ان قبر عبدالله الباهر في تل الزبيبة ، وبنوا عليه الابنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحا ، وليس صحيحا ما زعموه فان عبدالله الباهر مات بالمدينة ودفن فيها .

- (١٩) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢١١-٢١٢ وانظر ابن بطوطة / ١٤٩ .
 (٢٠) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٦٩ .
 (٢١) ابن بطوطة / ١٣٩ .
 (٢٢) القزويني آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٠٤ .
 (٢٣) الحوادث الجامعة / ٤٠٤-٤٠٥ .

عصية المذاهب :

ينقسم سكان العراق الى طائفتين كبيرتين هما السنة والشيعة ، وكان السنة منقسمين الى حنابلة وشوافع وحنفية . وقد ادت جهالة العوام الى نشوب فتن في بعض السنين بين الحنابلة واتباع المذاهب الاسلامية الاخرى (٢٤) . وكذلك جرت فتن ومعارك بين السنة والشيعة في سنة ٦٠٣ هـ (٢٥) زمن الناصر لدين الله . وفي سنة ٦٥٣ هـ (٢٦) اي في اواخر حكم الخليفة المستعصم ، وقد سقطت فيها ضحايا كثيرة من الفريقين . وكذلك تجددت الفتنة سنة ٦٥٤ هـ وسفكت فيها دماء وتدخلت السلطة الى جانب أهل السنة (٢٧) . و اشار أبو الفدا (٢٨) وكذلك ابن كثير (٢٩) الى وقوع فتنة بين الطائفتين سنة ٦٥٥ هـ ولكن الواقع ان الحوادث التي اشار اليها تتعلق بسنة ٦٥٤ هـ ، لان المؤرخين العراقيين وهم معاصرون للحادثة لم يشيروا الى وقوع حادثة سنة ٦٥٥ هـ .

هذا وقد حدثت فتن ايضا بين الطائفتين في واسط حتى اصبحت مألوفة لسكانها . ولقد عملت هذه العصية المذهبية على تمزق المجتمع الاسلامي وفقدانه لوحده وتمامه ، فقد كان الرقع يتسع والمجتمع يتصدع والدولة تنهار وليس هناك من يلم الشعث ويرأب الصدع ويعيد للمجتمع وحدته وتمامه وللدولة سلطانها وقوتها . وقد كان ضعف الخلافة العباسية قبيل سقوط بغداد عاملا اساسيا في انتشار الفتن والحروب بين الاهالي اذ يتجرأ الناس على ذلك لضياع هبة الخلافة وضعفها .

عادة قتل السباع وعصية المحلات :

وهذه ظاهرة غريبة كوتتها عصية العامة وجهالة الناس في هذه الفترة ، فاذا بسكان كل محلة يتعصبون لمحلتهم ، فتتشأ تكتلات في المحلات وتثور معارك دامية بين محلة واخرى لاتفقه الاسباب ، فقد اعتاد

-
- (٢٤) ابن خلدون : تاريخ العبر ، ج ٣ ، ق ١/١١٠٥ .
(٢٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ج ٩/٢٠١ .
(٢٦) الحوادث الجامعة / ٢٧٧ .
(٢٧) ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية / ٢٤٤-٢٤٥ .
(٢٨) أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، المجلد الثاني / ٩٩ .
(٢٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣/١٩٦ .
(٣٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩/٣٥٥ .

الناس الخروج لقتل السباع، فاذا قتلوا سبعا طافوا به في محلات بغداد في مظاهرة تطغى عليها شعارات العصبية للمحلة . وكان هذا يثير المحلات الاخرى فيؤدي الى حدوث فتنة تسيل فيها دماء الطرفين . وساذكر نماذج لما يحدث بين المحلات من صدامات عنيفة مرجعها التعصب للمحلة . ففي ١٧ رمضان سنة ٦٠١ هـ حدثت فتنة بين اهل باب الازج واهل المأمونية . وسببها ان اهل باب الازج قتلوا سبعا وارادوا ان يطوفوا به ، فلما مروا بالمأمونية منعهم اهلها فوقعت بين الطرفين فتنة جرح فيها خلق كثير ، وفشل صاحب الباب في تسكين الفتنة وجرحت فرسه فعاد . وفي اليوم التالي تجدد القتال بين الطرفين بالسيوف والنشاب ونهبت الدور حتى اضطرت السلطة الى جعل الجند الاتراك يبيتون تحت المنطرة فسكنت الفتنة بينهم . ولكن لم يمس على هذه الحادثة سوى ثلاثة ايام حتى نشبت الفتنة بين اهل قطفنا ومحلة القرية التي هي من محال الجانب الغربي ، اذ منع اهل محلة القرية الاخرين من الطواف بالسبع في محلتهم ولم تهدأ الفتنة الا بتدخل الديوان^(٣٠) . وهكذا اقلبت عادة قتل السباع وهي رياضة مفيدة وتسلية جميلة الى عامل فتنة بسبب عصبية المحلات وجهالة العوام . ان معظم القتال الذي كان يدور بين المحلات لم يكن له سبب وجيه ، قرب خصام بين رجلين من محلتين يتطور الى القتال الدموي بين اهالي المحلتين كما حدث سنة ٦٠١ هـ بين اهل سوق السلطان والجعفرية الذين تدخل الديوان بينهم وحسم الشر .

لقد أحس الخليفة والديوان بان هذه الفتن بين المحلات لا يمكن ان تستمر بهذا الشكل اذ ما أن تهدأ في مكان حتى تشور في آخر ، وهكذا دواليك . وكان في ذلك من الاشغال للدولة باطفاء الفتن ما فيه ، حتى عمد الخليفة الى تعيين امير كبير من مماليكه هو فخرالدين ابيك الارنباي شحنة بغداد ومعه جند كثيرون ، فطافوا في البلد وقتلوا من اشتبهوا به من مشري الفتن والقلقل ، فسكن الناس^(٣١) ولكن هل ماتت عصبية المحلات ؟ هل وعت العامة عظم المصاب من هذا الصراع ؟ .

ان الجواب على ذلك هو في استعراض الاحداث التالية ، ذكر ابن

(٣٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر ابن الساعي ، الجامع

المختصر ، ص ١٤٦-١٤٨ .

(٣١) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٣٤٩ .

الفوطي في حوادث سنة ٦٢٩ هـ ان اهل باب الازج^(٣٢) واهل المختارة^(٣) جرت بينهم فتنة وتراموا بالبندق والمقايح والاجر وتجالدوا بالسيوف ، ولم تسكن الفتنة الا بتدخل السلطة بعد ان قتل وجرح جماعة من الفريقين • وقد قبض على جماعة من الطرفين ف ضربوا وقطعت اعصابهم وبذلك سكنت هذه الفتنة^(٣٤) وفي زمن الناصر لدين الله كان الناصر يشجع عادة قتل السباع متأثرا بأرائه في الفتوة ، فكان ينعم على الشباب المشتركين بشيء من البر ، وكانوا عندما يخرجون الى الصيد يجتمع من كل محلة جوق ، ومعهم الدفوف والمزامير والمغاني وسائر الملاهي ويدورون في البلد • وفي سنة ٦٤٠ هـ منع اهل باب الازج اهل المأمونية من العبور اليهم وسيوفهم مشهورة ، فاقتتل الفريقان وضرب نائب باب النوبي بالاجر لانه انحاز الى اهل المأمونية ، وقد قتل عدد من الفريقين ونهبت دكاكين ودور كثيرة ، ولم يستطع الشحنة أن يكفهم عن القتال الذي استمر حتى قتل من الفريقين جماعة ، وخربت عدة دور من المأمونية وسييت النساء ونهبت الاموال حتى نزل الجند الملبسين بالعدد فكفوهم • وبات تحت مظرة باب الحلبة عدة ليال خوفا من تجدد الفتنة في الليل ، ومع ذلك لم يمنعوا من الخروج لقتل السباع بل استمروا على خروجهم وبين ايديهم السيوف الكبيرة والمغاني وعظم الامر حتى خرجت النساء حواسر !! • وقد وقعت حوادث اخرى بين اهل المختارة وسوق السلطان تدخل لحسمها الجيش بعد وقوع ضحايا كثيرة^(٣٥) •

ومن الفتن الكبيرة التي حدثت بسبب العصبية للمحلات ما جرى سنة ٦٥٣ هـ بين اهل محلة أبي حنيفة واهل محلة الرصافة والخضيريين ، اذا أستظهر اهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة وطردوهم الى باب المحلة فتزاحموا عند الدخول حتى مات منهم ثلاثون رجلا وحاصروهم ومنعوا الماء عنهم حتى تدخل شحنة بغداد وكفهم عن الشر ، ولكن القتال تجدد بعد أيام وسقط قتلى وجرحى واتسع نطاق الفتنة بتدخل أهل البصرة

(٣٢) باب الازج : محلة في بغداد الشرقية وكانت بموضع الشيخ عبدالقادر الجيلي اليوم الممتدة الى دجلة (مصطفى جواد : حواشي الحوادث الجامعة).

(٣٣) محلة في شرقي الميدان اليوم. (مصطفى جواد : حواشي الحوادث الجامعة).

(٣٤) الحوادث الجامعة / ٣١ •

(٣٥) الحوادث الجامعة / ١٧٥-١٧٧ •

الى جانب اهل الرصافة واهل الكرخ الى جانب الخضيريين فحضر اصحاب الشحنة وكفوههم ، ثم اصلحوا بين الفريقين (٣٦) .

وفي العهد الايلخاني استمرت عادة قتل السباع وما تجره من فتن وما توقده من عصبيات بين اهل المحلات ، ففي سنة ٦٨٦ هـ كثر اهتمام العوام بقتل السباع وجرت حروب كثيرة فانكر الديوان ذلك وتقدم بسنح حرب السباع (٣٧) وهكذا اطلقت الفتنة بعد ان دامت فترة طويلة ذهبت خلالها ضحايا وسالت دماء .

والحق ان المرء ليعجب لماذا يقدم العباسيون على مثل هذا الاجراء فيحقتون الدماء ويزيلون الفتنة ؟ ربما يعود ذلك الى الرغبة في كسب رضا العامة واجتناب غضبها وربما يعود الى تشجيع بعض الخلفاء عادة قتل السباع كرياضة مفيدة ذات صلة بالشجاعة وخصال القتيل كما هو شأن الناصر لدين الله الذي كان يقدم العون لمن يمارس عادة قتل السباع . ولم تقتصر عصبية المحلات على بغداد، بل كانت تحدث في مدن اخرى ايضا، فاهل مدينة الحلة كانوا كلهم امامية اثني عشرية ومع ذلك فقد انقسموا الى طائفتين الاكراد واهل الجامعين ، وكانت الفتنة بينهما متصلة والقتال قائماً ابداً (٣٨) . واهل كربلاء كانوا ايضا امامية وهم طائفتان اولاد رخيخ واولاد فائز والقتال بينهما دائم (٣٩) .

والان وقد استعرضت احداث الصراع بين المحلات واوضحت السبب الكامن وراءها وهو العصبية . ولكن الامر المهم لماذا ظهرت عصبية المحلات بهذا الشكل العنيف ؟ وكيف يحدث في ظل حكومة قائمة مثل هذا القتال الدموي الرهيب الذي كان ما يكاد ينظفي في مكان حتى يتجدد في آخر ؟ ان الذي يتبادر الى الذهن ان ضعف السلطة هو الذي أضعاف ولاء العامة لها فتحول الى الولاء للمحلة وجرأ العوام على ارتكاب تلك الاعمال . ان التفكك الذي حصل في المجتمع نتيجة الفتنة الكثيرة حتى اذا ما عاينا حالة المجتمع او اخر العصر العباسي وجدناه في غاية الانحلال والضعف فقد هدمته عصبية

(٣٦) المصدر السابق / ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣٧) المصدر السابق / ٤٥٣ .

(٣٨) ابن بطوطة / ١٢٩ .

(٣٩) المصدر السابق / ١٣٩ .

المحلات وعصبيّة المذاهب والطوائف ، فلم يستطع الوقوف على قدميه امام قوة المغول المندفعة التي اسقطت العروش ودكت الحصون وهي بعد ذلك في قوتها وعنفوانها عندما حاصرت بغداد الجريحة التي انهكتها الفتن والاتقسامات .

نماذج وصور من فعاليات التصوف :

نلاحظ شيوع التصوف في المجتمع بشكل بارز ، وعند قراءة مصادر الفترة تطالعنا مصطلحات المتصوفة وتعابيرهم ، فقد اثر المتصوفة في ادب عصرهم بشكل ملحوظ كما اثروا تأثيرا كبيرا في الحياة الاجتماعية . وعند مطالعة كتب التراجم لرجال ذلك العصر نجد عددا كبيرا منهم ينتسبون الى التصوف والتأله والمعرفة . ولست اريد هنا ان افصل الكلام في التصوف خلال هذه الفترة الطويلة التي تمتد قرنا ونصف القرن من الزمان ، بل سأكتفي بعرض بعض اللقطات التي تصور جانبا من حياة المجتمع في هذه الفترة . ففي قرية ام عبيدة القريبة من مدينة واسط شاعت الطريقة الرفاعية التي تنتسب الى الشيخ احمد بن رفاعة المتوفي سنة ٥٧٨ هـ ، وكان سلطان العارفين في زمانه ، وانضم اليه خلق من الفقراء واحسنوا فيه الاعتقاد ويقال لهم الاحمدية والبطايرية وكان لهم احوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول الى التناير وهي تضرم والدخول الى الافرنّة ، وينام احدهم في جانب القرن والخباز يخبز من الجانب الاخر ويرقصون في السماعات على النيران الى ان تنطفئ^(٤٠) .

وقد زار ابن بطوطة رباط المتصوفة في قرية ام عبيدة سنة ٧٢٥ هـ ، وذكر ان فيه آلاف الفقراء ووصف حفلة من حفلات المتصوفة شهدها بنفسه . فبعد صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسّمك واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا صلاة العشاء ، وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد كوجك حفيد الرفاعي جالس على سجادة جده المذكور ثم اخذوا في السماع وقد اعدوا احمالا من الحطب فاججوها نارا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتسرغ فيها ومنهم من يأكلها نفسه حتى اطفأوها وهذا دأبهم وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا . ومنهم من يأكل الحية العظيمة فيعض بأسنانه

(٤٠) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٦ (مخطوطة) ص ٩٣ .

على رأسها حتى يقطعه^(٤١) . ويبدو ان الطرق الصوفية شاعت كثيرا في
واسط ، ففي فم الدبل التي هي من قرى واسط يوجد المشايخ العيفية ،
وفقراؤهم يدخلون النار ويأكلون الحيات^(٤٢) وفي اربيل يوجد رباط فيه
مائتا صوفي ، شغلهم الاكل والرقص في كل ليلة جمعة .

وبعد هذه اللقطات السريعة التي قدمت فيها نماذج من حياة المتصوفة
اريد أن اوضح أن ذلك لا يعني ان سائر المتصوفة كانوا كذلك ، فالتصوف
منهج للسمو الاخلاقي والروحي ، وكان كثير من العلماء والاشراف ينتسبون
اليه ، فينقطعون الى العبادة والزهد وعمل الخير . ولكن العامة لا يمكنها
الصعود الى هذا المستوى فتقوم بتلك الاعمال العجيبة وتنسبها الى الولاية
والكرامة .

ومن جهالة العامة انهم كانوا ينسبون الولاية الى بعض البلهاء فقد
كان حميد الزيزي رجلا ابله يمشي عريان مكشوف السوءة في الاسواق
على أشنع ما يكون منظرا اسود اللون من القذر والرماد الذي كان ينام
عليه ، ومع ذلك فقد كان العوام يعتقدون فيه ويظنونه وليا من اولياء الله
تعالى . ولما توفي سنة ٥٩٥ هـ شدوا تابوته بالجبال وتبركوا به وتبع
جنازته خلق كثير منهم واستمروا يزورون قبره وينذرون له النذور^(٤٣) .
وهكذا بلغت جهالة العامة حد السخف والهوس ، وقد استغل البعض
ذلك فنجد احمد بن الهروي النحوي يظهر الجنون والبله ، فاذا
برصيده يرتفع وبسوقه يروج^(٤٤) . والعجيب ان الحكومة تسجنه لانه
« اثقل البلد » عند العوام على تعبير ابن الفوطي ثم تطلق سراحه وتخصص
له مبلغ ثلاثين دينار في كل سنة . وربما ارادت بذلك مداراة العامة وكسب
رضاها ! وقد ضاعت المقاييس الدينية عند العامة فالجهالة لم تبق من الدين
سوى اسمه ، فهذا ابراهيم بن سعيد الشاغوري المولته مات سنة ٦٨٠ هـ ،
كان على قاعدة المولهن من عدم التعبد بصلاة أو صيام أو طهارة ، والمفروض
ان ذلك يسقطه في نظر المسلمين ، ولكن للعامة مقاييساً اخرى فقد كانت

(٤١) ابن بطوطة / ١١٤ .

(٤٢) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٤٣١ .

(٤٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ١٥ .

(٤٤) الحوادث الجامعة / ١٧٧ .

تعتقد فيه اعتقادا يتجاوز الوصف لما يرون من كشفه وكلامه على
الخواطر (٤٥) .

اخلاق العامة :

عندما ينظر المرء الى الجانب الخلقى من حياة العامة في هذه الفترة
يطالعه اتجاهان : الاول : - اتجاه الاخلاق والتصوف ويسيل الى التطرف
في كثير من الاحيان والاتجاه الثاني يجنح الى التحلل من قيود الاخلاق
والخروج على الاعراف والتقاليد الاجتماعية . ويظهر التطرف في كل من
الاتجاهيين . فقد كان التناقض طابع العصر في تلك الفترة ، وهذا امر
طبيعي يعمله علماء النفس برودود الفعل . فعندما يجنح المجتمع الى الفساد
والخلاعة والمجون تبرز عناصر تميل الى التقوى والصلاح والخير . ولن
ابحث هنا اخلاق العامة بصورة شاملة . وانما اکتفى بالاشارة الى بعض
الخطوط العريضة للسلوك العام .

لقد وصف ابن جبیر (٤٦) اخلاق اهل بغداد عندما زارها سنة ٥٨٠ هـ ،
وشكا من كبرياء القوم واعتزازهم بانفسهم وبيداتهم واستصغارهم لغيرهم .
وذكر شيوع التعامل بالربا فيهم ، وتطفيهم في الموازين والمكاييل ، وذكر
الخرجي صاحب المسجد المسبوك شيوع المنكرات ببغداد وظهورها سنة
٥٧٧ هـ ، بحيث اقام حاجب الباب جماعة لاراقعة الخمر واخذ المفسدات (٤٧) .
ونجد في رسالة ابي عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان الفقيه الى الناصر
لدين الله ما يشير الى اخلاق اهل الذمة في بيوتهم ومعاملاتهم فقد وصفهم
بالغش في الحوائج والدغل وبسرقة الذهب وذلك باستبداله بالنحاس وكذلك
يفعلون بالفضة فيجعلون عوضها في الاماكن المستورة يحسب احتمالها (٤٨) .
وقد سعت السلطة في بعض الفترات الى مكافحة الرذيلة وازالة المفسد ، كما
اشرت الى ذلك في عهد الناصر لدين الله ، وكذلك في الفترة الايلخانية فقد
ذكر ابن الوردي في حوادث سنة ٧٢١ هـ القيام باصلاحات خلقية
فقد استتابوا الخاطئات وزوجوهن وارقوا الشراب ومنعوا الناس من

(٤٥) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٦٦ .

(٤٦) ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ، ص ٢١٨ .

(٤٧) الخزرجي : المسجد المسبوك ، ص ٩٢ .

(٤٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ٦٦-٦٨ .

العصير ونودي ان من تخلف عنده شيء من الشراب حل ماله ودمه للسلطان فطلع بعد ذلك عند احدهم جره فقتلوه وعند آخر جرتان فقطعوا راسه (٤٩) . وجاء في عقد الجمان ابطل ابوسعيد ابن خربندا مكس الغلة ورسم على الخمارين والزهم باحضار الخمر في الظروف فاجتمع نحو عشرة الاف ظرف فاحرقت واحرقت الظروف وفعل ذلك في جميع البلاد (٥٠) وكذلك حدث سنة ٧٣٤ هـ حيث اطلق ببغداد ضمان الخمر والفاحشة (٥١) وقد كثر اللصوص والطرارات ببغداد في اواخر العصر العباسي وزادت جرأتهم فكانوا يأتون بالعدة ويأخذون اموال الناس (٥٢) ولم تعد الطرق بين بغداد وغيرها من المدن امينة اذ كثر فيها قطاع الطرق واللصوص (٥٣) . وفي سنة ٦٧٧ هـ اي في اوائل العهد الايلخاني ظهر صبيان من الشطار يعرف احدهما بابن الحماس والاخر بالتاج الكفني وانضم اليهم جماعة من الجهال وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم فارعبوا الناس فاحتال صاحب الديوان عليهما واحضرهما وقربهما ليكفهما عن الشر فزاد فسادهم وجرأتهم على الناس واخذهم الاموال بالتهديد والاكراه ، فامر صاحب الديوان بقتلهم وطيف برأسيهما في بغداد .

والى جانب هذا التيار من التحلل والفساد نجد تيارا من الاصلاح يقوده العلماء وكانت مجالسهم عامرة بعلوم الفقه والحديث والرقائق طافحة بالايمان والحماس الملتهب ، وكان يحضرها عدد كبير من الناس ، فكان اثر هذه المجالس كبيرا جدا على عامة الناس ، اذ كانت تحدث في تلك المجالس توبة الناس وقلوبهم خاشعة ، وعيونهم دامعة ذارفة ، وقد حضر ابن جبير بعض هذه المجالس خلال زيارته لبغداد سنة ٥٨٠ هـ ووصفها في كتاب رحلته وصفا رائعا (٥٤) .

(٤٩) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٥٠) العزاوي : العراق بين احتلالين ، ص ٤٧٤ .

(٥١) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٥٢) الحوادث الجامعة / ٢١٣ .

(٥٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ص ٨٢٢ .

(٥٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢١٩-٢٢٢ .

الفصل الثاني

دور العامة في الحياة السياسية

او علاقة السلطة بالعامة

أهمية العامة :

ان التكتلات التي حدثت في صفوف العامة في هذه الفترة اكسبتها أهمية وقوة اذا أصبحت العامة أقدر على الشعب ومعاكسة الحكام في حالة السخط ، وعلى المساندة والمساعدة في حالة الرضى . وقد تكلمت عن طبيعة هذه التكتلات ومنشئها واثرها ، فأستعرضت التكتلات المذهبية والطائفية والمحلية ، وهنا اضيف تكتلا ذا طبيعة مغايرة وهو المتشمل بحركات

حركة الشطار والعيّارين

الشطار والعيّارين الذين كانوا يمثلون تكتلات شعبية لا تلتزم بنظام أخلاقي ولا يعرف اجتساعي تعيث في الارض فسادا حتى خطا الناصر لدين الله خطوة كبيرة عندما سعى لتنظيمها . وبذلك استمرت حركات الشطار والعيّارين

نظام الفتوة

ضمن حركة واحدة هي حركة « الفتوة » وكان يريد بذلك امتصاص الطاقة التي كانت مبعث شر وفساد وتحويلها لصالح المجتمع والدولة ، فكانت « الفتوة » امتدادا لحركة الشطار والعيّارين ولكن ضمن اطار اخلاقي متين . وثمة أمر جديد في حركة الفتوة يميزها عن حركة الشطار والعيّارين وهو مشاركة الاكابر والاعيان فيها فهي لم تقتصر على العامة . وذلك لان الخليفة الناصر نفسه أعتبر رئيسا « للفتوة »^(٥٥) . وكان كثيرا ما يشغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسب . ويلبس سراويل الفتوة . وقد اعتبر ابن خلدون ذلك دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن اهلها^(٥٦) . ولكن الواقع ان الناصر بحركته الجديدة جدد للدولة شبابها واعاد لها تماسكها الى حد ما بعد أن فقدته مدة طويلة .

(٥٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٣ .

(٥٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١١٠٢ .

وفي بداية نشوء الحركة لم يكن نظامها واضحا بل تبلور تدريجيا فلم تكن هناك شروط والتزامات منذ البداية ولكن حدث ان اختصم احد رفقاء فاخر العلوي المقرب من الوزير ناصر بن مهدي مع رفيق لعزالدين نجاح الشرايبي وصارت فتنة عظيمة بمحلة قطقتا حتى تجالدا بالسيوف ، فلما علم الناصر بذلك انكره وجمع رؤساء الاحزاب وقرأ عليهم نظام الفتوة وشروط العضوية وتقرر ان من يخالف ذلك تبطل فتوته^(٥٧) . وقد تضمن نظام الفتوة الجديد^(٥٨) ما يلي :

١ - اذا ارتكب الرفيق جريمة القتل فان رفيقه يتبرأ منه في جمع من الفتيان وبذلك يخرج عن دائرة الفتوة .

٢ - ان كل فتى يحوى قاتلا ويخفيه ويساعده على امره ويؤويه يتبرأ رئيسه منه .

٣ - ان الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب ان يؤخذ منه القصاص . فان كان القاتل ليس من الفتيان بل عوناً من الاعوان او متعلقاً بديوان في بلد الامام الناصر فان القاتل تسقط فتوته ويؤخذ القصاص منه وبذلك اصبحت الفتوة حركة منظمة ذات قواعد قانونية واسس اخلاقية ، وقد طبق النظام الجديد زمن الناصر لدين الله فعندما قام اثنان من الفتيان سنة ٦٠٤ هـ بقتل ابن حسان وكان احد النقباء بياب الشحنة اخذت سراويلات الفتوة منهما وقتلا^(٥٩) ولكن يبدو ان حركة الفتوة فقدت حيويتها بعد الناصر لدين الله وعادت حركة الشطار والعيارين الى الظهور من جديد ، فقد ترأس العندي وكان من اولاد المماليك الناصرية جمعا كبيرا من الفتاك والعيارين ، وخرج هؤلاء على طاعة الخليفة فلاحقتهم السلطة وقتلت بعضهم فنفروا وسجن العندي فلما تولى المستعصم واطلق السجناء كان من جملتهم العندي الذي عاد الى الفساد وقاد جمعا من العيارين فطلبه ابيك الحلبي شحنة بغداد فهرب الى همدان وهناك قتله شحنة المدينة وحمل رأسه الى بغداد فعلق بظاهر سوق الظفرية سنة ٦٤٥ هـ^(٦٠) .

(٥٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٣ .

(٥٨) المصدر السابق / ص ٢٢٣-٢٥٥ .

(٥٩) المصدر السابق / ص ٢٢٨ .

(٦٠) المصدر السابق أيضا ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

وفي خلافة المستعصم نشطت حركة العيارين ببغداد وساعدت ظروف المجتمع في هذه الفترة على ازدياد نشاط الشطار والعيارين واللصوص وذلك بسبب الفتن المذهبية والطائفية الكثيرة وظهور عصية المحلات بشكل قوي وانشغال السلطة باطفاء الفتن مما أضعفها وانهكها فكان العيارون يعيشون ببغداد فسادا يسرقون الاموال وينهبون البيوت وبلغت بهم الجرأة الى مهاجمة دور الامراء (٦١) .

وقد اصاب الناس الهلع والخوف من العيارين ، فلم يعودوا يأمنوا على انفسهم واموالهم . ولعل مما يوضح نفسية الناس في خلافة المستعصم ما اورده صاحب الحوادث الجامعة عن محمد بن ابي الفرج بن رئيس الرؤساء فقد كان رجلا ساذجا سليم الصدر وله حكايات غريبة منها انه احضر بناءً وامره ببناء دار يكون حائطها في غاية الاحكام والعرض بحيث اذا شرع العيارون في تقبه من آخر الثلث الاول من الليل يفرغون منه وقت السحر ، فجعل البناء عرضه ست أجرات بالقلب الكبير ، فلما فرغ أمر جماعة ان ينقبوه من الثلث الاول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل فقال للبناء زد ثلاث أجرات اخرى (٦٢) . ولئن كانت القصة نادرة من النوادر تصلح للتفكه فانها تعبر بنفس الوقت عن روح الخوف والهلع من الشطار والعيارين الذين نشطوا كثيرا في هذه الفترة .

مراقبة العامة والتجسس عليها .

ان كثرة الفتن والانقسام في المجتمع وحركات الشطار والعيارين جعلت الناصر لدين الله يعمد الى مراقبة العامة واحصاء حركاتها وسكناتها فكان من واجب الحراس بالدروب ان يكتبوا مطالعاتهم الى الخليفة وتتضمن كل صغيرة وكبيرة مما يتجدد في دروبهم فكان الخليفة يعرف دقائق احوال الرعية ، وقد تضايق الناس من ذلك كثيرا ، فقد كان فيه حجر عظيم على تصرفاتهم وتقييد كبير لحررياتهم ، ولكن ذلك لم يستمر فبعد وفاة الناصر لدين الله وخلافة الظاهر ابطل الخليفة الجديد ذلك وطلب أن لا يكتب اليه الا ما يتعلق بمصالح الدولة ، وقد نصحه البعض بابقاء ذلك لان في ازالته فساد العامة وتعاضم

(٦١) الحوادث الجامعة / ٢٥٤ .

(٦٢) نفس المصدر / ٢٥٦ .

شرها الا انه لم يقتنع بذلك (٦٣) .
وعلى أية حال فان التجسس على العامة قد يفيد في تخفيف شر الاشرار
ولكنه ليس الحل الطبيعي للالزمة الاخلاقية التي كان يمر بها المجتمع انذاك .

السلطة والحالة المعاشية للعامة

يروى عن الناصر لدين الله انه كان كثير الاقتصاد حتى رماه البعض بالبخل،
وكان قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة فكان يقف على
حافتها ويقول اترى اعيش حتى املاها ؟ (٦٤)

ولكن ذلك لم يمنعه من المساهمة بجزء وافر من معاش العامة وخاصة
في شهر رمضان ففي سنة ٦٠٤ هـ أمر ببناء دور الضيافة في محلات بغداد
ليفطر فيها الفقراء ويتولاها رجل امين فكان يطبخ فيها اللحم الضأن والخبز
الجيد ويعطى كل انسان قدحا مملوءا من الطيبخ واللحم ومناً من الخبز فكان
يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة (٦٥) . ومنذ شهر شعبان كانت
الوظيفة الرمضانية تفرق على المدارس والاربطة والمشاهد وزوايا الفقراء من
الدقيق والغنم والذهب لاجل الفطور وتفتح ابواب الضيافة في جانبي مدينة
السلام (٦٦) .

وقد زادت مشاركة الحكومة في معاش الناس زمن المستنصر بسبب
الكرم الذي طبع عليه هذا الخليفة فقد كان يقف على حافة بركة الذهب الذي
جمعه الناصر ويقول : اترى اعيش حتى أنفقها (٦٧) . وفي زمنه اصبح بكل
محلة من محال بغداد دار الضيافة للفقراء ولاسيما في شهر رمضان وكان في كل
وقت يبرز لصلاته الوقفاً متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي
الحاجات والارامل والأيتام وغيرهم (٦٨) . وكان المستنصر يطوف في ازقة
بغداد ويلاحظ عامة الناس بعين الرعاية والعطف (٦٩) . وكذلك كان حال
الناصر من قبله اذ كان يحب الظهور للعامة والتجيب اليهم (٧٠) .

(٦٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٦٢ .

(٦٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ في ص ١٥٩ .

(٦٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ في ص ٢٩٨ .

(٦٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٤٠ .

(٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ١٣ . ص ١٥٩ .

(٦٨) المصدر السابق / ١٥٩ .

(٦٩) المصدر السابق / ١٥٩-١٦٠ .

(٧٠) ابن جبير / ٢٢٧ .

وكان العامة يحترمون الخلفاء ويكونون لهم محبة فائقة ، فللعوام حساسية شديدة في تقدير من يحسن اليهم ، وعندما توفى ابي الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين الله وكان احب ولديه اليه والمرشح للخلافة بعده شاركت العامة الناصر في احزانه ووجدوا على ابنه وجداً شديداً ودامت المناحات عليه في اقطار بغداد ليلاً ونهاراً ولم يبق ببغداد محلة الا فيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن (٧١) .

وقد استمرت ذكرى الخلافة ومحبتها في قلوب العامة خلال العهد الأيلخاني فعندما ماتت الست خديجة ابنة المستعصم ببغداد سنة ٦٧٦ تذكر الناس ايام والدها وبكوا وكثرت النوايح والنوادر ورفعت الطراحات (٧٢) . وقد أحست العامة انها فقدت الكثير عندما اصبح الحكم للاجانب وساعدت اجراءات الايلخانيين على ذلك فبعد سقوط بغداد بسنة واحدة احصى سكان بغداد وكتبت اسماؤهم وقسموا الى مجاميع عليها أمراء وقرر على كل منهم ما يؤديه في كل سنة ، ولم يعفَ من ذلك إلا الصبيان والشيوخ ، واستمر الأمر حتى ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني حيث اسقط ذلك عنهم (٧٣) .

ولم يتنفس الناس الصعداء بعد حتى أمر الأيلخانيون علاء الدين بأستيفاء خمسين الف دينار من بغداد واعمالها على وجه المساعدة فشرع بأستيفاء ذلك بالعسف والقهر حتى اخذ ايجار الدور عن شهرين سلفاً ، ولما طلبه الديوان وانفرد مجد الدين بن الاثير بأستيفاء المبلغ اغلقت الاسواق وهرب الناس فطولبت النساء بما قرر على رجالهن (٧٤) . وهكذا لاقى الناس الأمرين من الحكم الأجنبي ، وعندما قدم ارغون الى بغداد سنة ٦٨١ طولب اهل بغداد باجرة املاكهم عن ثلاثة أشهر فاستوفى من اكثرهم ثم اغفى الناس كافة (٧٥) . ومع ذلك كله فلا يخلو العهد الأيلخاني من بعض السلاطين والحكام الذين احسنوا الى الرعية ، فقد كانت العامة تكن لعلاء الدين الجويني محبة كبيرة حتى انهم عندما سمعوا بأعادته الى بغداد ايام السلطان احمد - وكان قد أقبل

(٧١) ابن الاثير : الكامل ج ٩ . ص ٣١٠ .

(٧٢) الصفدي : الوافي والوفيات ، ج ٨ (مخطوطة) ق ١١ .

(٧٣) الحوادث الجامعة / ٢٣٩ .

(٧٤) المصدر السابق / ٣٩٨-٣٩٩ .

(٧٥) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

من ولايته - سمع لهم دوي فرح وسرور بل عيد وابتهاج (٧٦) .
 وحاول بعض السلاطين الايلخانيين أن يخفف العبء عن العامة كما فعل
 اباخان عندما زار بغداد سنة ٦٧٢ هـ إذ أمر بالأحسان الى الرعايا وتخفيف
 التمغات وحذف الاثقال عنهم وكتب ذلك على باب جامع (المستنصرية (٧٧)) .
 وكذلك فعل السلطان كيخا توخان إذ أمر السكورجي والي العراق بازالة ما
 جدد على الرعية من الاثقال (٧٨) . وعندما سمع كيخا تو بسا فعله بايدو
 بأهل عين التمر والكبيسات من نههم وأسر ثلاثين الف منهم غضب عليه
 وجبسه (٧٩) .

العامة والعنف

عندما تنقم العامة على أحد المسؤولين فانها تنتقم منه عاجلا أو آجلا، وقد
 تضطر السلطة تحت ضغط الشارع الى تنفيذ ما يريده العوام فتقيل الموظف
 وتسجنه في بعض الحالات كما حدث ذلك لشحنة بغداد فخرالدين ايبك
 الارنباي فقد قتل العوام أحد اتباعه ويدعى ابن محاسن وسحبوه وهو حي ثم
 القوه في دجلة ثم اخرجوه واحرقوه . فقصدتهم الارنباي في عسكره فوثبوا
 عليه فيما كان منه إلا ان اوقع فيهم وجرده اصحابه السلاح وقتلوا من العامة
 جماعة وجرحوا آخرين فهاج البلد وماج واغلق الناس دكاكينهم واقبلوا
 بقتلاهم في مظاهرة كبيرة الى باب البدرية الشريفة . فأقبل الشحنة
 وسجن (٨٥) . ولكن العامة لم تكتف بذلك بل ثارت على المسالحة ياب النوبي
 الشريف وقتلت جماعة منهم وهنا لم تقف السلطة مكتوفة الايدي بل احضرت
 اثنين من قتلوا ابن محاسن وصلبتهما على باب البدرية فارتدع العوام وكفثوا
 عن تطاولهم (٨١) .

وكانت قوة العامة مدعاةً لمحاولة كسبها من قبل بعض المسؤولين
 لاغراضهم الخاصة ففي سنة ٦٥٤ هـ وشى الوزير ابن العلقمي بمجاهد الدين
 الدواتدار واعلم الخليفة بما يريد الدواتدار من خلعه فما كان من مجاهد الدين

(٧٦) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٧٧) الحوادث الجامعة / ٣٧٥-٣٧٦ .

(٧٨) المصدر نفسه / ٤٧٥ .

(٧٩) المصدر نفسه / ٤٧٦ .

(٨٠) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٨١) المصدر السابق ص ٢٨٨ .

الدواتدار إلا ان جمع رنود بغداد وأوباشها حوله فكانوا يلزمونه ليل نهار حتى خشي الخليفة على نفسه وجمع جيشاً لدفع خطره واخيراً كذّب الخليفة امام الملاء ما نسب الى الدواتدار (٨٢) . وهكذا استطاع الدواتدار باستناده على الغوغاء ان يحتفظ بمركزه ويهزم الوزير في هذه المعركة .
وعندما تتعلق العامة بحاكم فانها تدافع عنه وتنتقم له من اعدائه فقد انتقموا لعلاء الدين صاحب الديوان من عدد من اعدائه ففي سنة ٦٧٧ هـ عذبوا ابن بقا الشربدار لانه طعن في الصاحب ثم قطعوا رأسه ووضعوا مكانه رأس معز بأسلحته وطيف به واحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف به (٨٣) .

ان الوحشية تتجلى تماماً في غضبه العامة ، فهي لا تملك نفسها عند الغضب ولا تضبط سلوكها عندما تهيج . وكذلك مثلت العامة بجثة مجد الملك العدو اللدود للصاحب علاء الدين وذلك بعد قتله من قبل الصاحب ، بل إن الخربندية ارتكبوا ما هو افضح من ذلك إذ شكّوا لحمه واكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه (٨٤) . وكذلك انتقم العوام من اتباع مجد الملك بقتلهم واحراق جثتهم .

إن للعوام حقداً لا يزيله إلا الانتقام الشنيع ، وكثيراً ما تواتيهم الظروف للانتقام من المسؤولين الذين آذوهم . فقد حدث سنة ٥٧٥ هـ ان اقبل ابن العطار من وزارته وحوسب وقتل ، ولم يجراً اهله على تشييعه فاخرجوه على ظهر حمال سراً فغمز به بعض العامة الناس فثار به العامة وألقوه عن رأس الحمال ومزقوا كفته وجردوه ومثلوا به تمثيلاً قبيحاً وسحبوه في البلد حتى اوصلوه الى المدينة فرموه فيها ثم اخرجوه وكانوا يضعون في يده عوداً ويقولون « يامولانا ظهير الدين وقع لنا » (٨٦) ومن العجب ان ابن العطار كان حسن السيرة فيهم (٨٧) ، فما سبب هذه الافعال الشنيعة معه ، قد يكون السبب اختلاف الناصر عليه ، وتعلق العامة بالناصر خاصة في بداية حكمه ،

(٨٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، ج ١ ، ص ٣٦٢-٣٦٤ .

(٨٣) الحوادث الجامعة / ٤٠٢ .

(٨٤) الحوادث الجامعة / ٤١٩ .

(٨٥) المصدر السابق / ٤٢٢ .

(٨٦) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ٣٢٣ .

(٨٧) الخزرجي : المسجد المسبوك ، ق / ٩٠ .

وقد يكون الوزير قد أساء لاحدهم فقام هذا بتهديج العامة وما أسرع ما تهتاج العامة وتنفعل وللرأي الثاني ما يدعمه إذ ذكر ابن الطقطقي ان بعض الاتراك كان قد عمر حماماً فكانت مجرة مياهه تؤذي أحد الجيران فتقدم هذا الجار بشكوى الى الوزير ، إلا إنه نهره بقوله إن لم تسكت جعلت رأسك في المجرة . فلما سحب العوام جثة ابن العطار وقع منهم في تلك المجرة ، فتعجب الناس من ذلك ، (٨٨) وتعجب العوام هنا يشير الى ان قصة الشكوى كانت منتشرة بينهم ومؤثرة إذ لزالوا يذكرونها ولكن هل تكفي هذه الاسباب حتى لو اجتمعت بتبرير مثل هذه الأعمال الشنيعة ، ثم الا يكفي الموت لأطباء الحقد والغضب . ولكنها العامة عندما تغضب فتنقم .

ان الحالات التي استخدم العوام فيها العنف مع المسؤولين كثيرة جداً فعندما مات نائب الشرطة بباب النوبي الشريف وكان ظالماً تكرهه العامة اعلنت لعنه وهمت بسحبه ، (٨٩) وقد هجم العوام على دار جمال الدين على بن البوري من اعيان المتصرفين زمن الناصر لدين الله ونهبوها على أثر وفاة الخليفة الناصر (٩٠) .

وعندما بويغ المستعصم بالخلافة أمر وزيره باسقاط المكوس والتقيصات والمؤن التي أحدثها عمال السوء ، فلما اراد حاجب باب النوبي العودة الى داره صحبه الوزير خوفاً عليه من العامة ، لانه كان يتولى اخذ المؤن ، وأرسل الأمير فلك الدين محمد سنقر لحراسة داره من العوام (٩١) .

وكثيراً ما كان يثب العوام ببعض المسؤولين فيقتلونهم ففي سنة ٥٩٧ هـ وثب اهل باب البصرة على حامي محلتهم المعروف باب الضراب فقتلوه وقتلوا ايضاً اربعة نفر وسحبوهم والقوهم في دجلة . وكذلك فعل اهل سوق الثلاثاء بحاميتهم ، وكذلك اهل محلة الجعفرية (٩٢) . لقد حدث قتل حماة المحلات في وقت متقارب وهذا يشير الى هياج العامة ضد السلطة نفسها وليس ضد حامي المحلة بذاته . وفي سنة ٦٥٣ هـ وثب اهل النيل على الشحنة بها فقتلوه لانه اساء السيرة فيهم ولم تأبه السلطة باحتجاجهم (٩٣) .

(٨٨) ابن الطقطقي : الفخري : ص ٣٢٣ .

(٨٩) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ١٣٢ .

(٩٠) الحوادث الجامعة / ١٤٦ .

(٩١) المصدر السابق / ١٦٣ .

(٩٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٤٦ .

(٩٣) الحوادث الجامعة / ٣٠٢ .

مواقف مشرفة للعامة :

لقد استعرضنا فيما سبق صوراً تمثل بعض النماذج الساقطة اديياً من غوغاء الناس واوباشها وهم الذين كانوا يقومون بالأعمال الشنيعة المنافية للمثل الاخلاقية والقيم الانسانية ، وهذه النماذج موجودة في كل عصر ومصر ، ولكن الى جانبها كانت توجد النماذج الانسانية الكريمة ، وقد سبق في الكلام عن الناحية الاخلاقية ان اوضحت وجود تيارين في العامة خلال هذه الفترة تيار يمثل الخير والصلاح وآخر يمثل الشر والفساد .

وهنا اريد ان اوضح بعض المواقف المشرفة التي وقفتها العامة الى جانب السلطة دفاعاً عن بلادها من الغزاة المعتدين أو حماية لها من اخطار الفيضان الذي كان يجتاحها بين آونة واخرى . حدث ذلك سنة ٦١٤ هـ عندما زادت دجلة زيادة عظيمة واشرفت بغداد على العرق فلم يقف الناس مكتوفي الايدي بل اجتمع جمع عظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج وأعدوا السفن لينجوا فيها (٩٤) ، وقد حدثت مشاركة من العامة والخاصة في دفع هذا الخطر الداهم عن بلدهم ، فكانت مشاركة رائعة ظهر فيها الخليفة وهو يحث الناس على العمل . ومرة اخرى تعرضت بغداد وذلك سنة ٦٧٦ هـ في العهد الأيلخاني في ولاية الصاحب علاء الدين وهنا ايضاً يلعب العوام دوراً مشرفاً في حماية مدينتهم ويشاركهم صاحب الديوان في هذا العمل فيحمل باقة الشوك على فرسه (٩٥) .

وعندما شبت النار في دار الخليفة الناصر سنة ٦٠١ هـ حتى التهمت خزانة السلاح اجتمع جميع من ببغداد من السقائين والفراشين بالقرب والروايا والصناع والفعلة واستمروا يوماً وليلة وهم يكافحون النيران فكانت محكماً لأخلاص العامة للخليفة آنذاك (٩٦) .

وفي عهد الايلخانيين كان الرأي العام في الموصل ضدهم ، فعندما قدم ايلكا نوين الى الموصل سنة ٦٥٩ هـ خرج الملك الصالح منها الى دمشق فأمدته الملك الظاهر بيبرس بجيش سار به الى الموصل وجعل سنجر على مقدمته ، فلما وصل سنجر الى الموصل منعه المغول من دخولها فوثب العوام وفتحوا

(٩٤) الخزرجي : المسجد المسبوك ، ص ١٢٥ .

(٩٥) الحوادث الجامعة / ٣٩٤ .

(٩٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، ق ٢ ج ٨ ، ص ٥٢٣ .

له باب الجسر فدخل منه ، ولكن المغول ارسلوا العساكر اليه فالتقوا عند نصيبين وتغابوا عليه فقتلوه ، وقدم الامير سنداغو الى الموصل فلم يستطع دخولها الا بعد حصار دام سنة (٩٧) وفي رواية اخرى ستة اشهر فقط وقد قام المغول بسجزة استهدفت افناء سكان المدينة (٩٨) وليس صحيحاً ما ذكره رشيد الدين عن كره العوام لبني العباس ومللهم من حكمهم (٩٩) ففي سنة ٦٣٥ هـ وصل الخبر ان عساكر المغول قد سارت الى بغداد ، فخرج الجيش لملاقاتهم فهزموه عند القنيطرة ، فلما بلغ خبر الهزيمة بغداد خرج كافة الامراء والقواد والجند وخرج معظم العوام متسلحين للدفاع عن مدينتهم ضد المغول الغازين (١٠٠) .

في سنة ١٠٠٠ هـ ...
 في سنة ١٠٠١ هـ ...
 في سنة ١٠٠٢ هـ ...
 في سنة ١٠٠٣ هـ ...
 في سنة ١٠٠٤ هـ ...
 في سنة ١٠٠٥ هـ ...
 في سنة ١٠٠٦ هـ ...
 في سنة ١٠٠٧ هـ ...
 في سنة ١٠٠٨ هـ ...
 في سنة ١٠٠٩ هـ ...
 في سنة ١٠١٠ هـ ...

في سنة ١٠١١ هـ ...
 في سنة ١٠١٢ هـ ...
 في سنة ١٠١٣ هـ ...
 في سنة ١٠١٤ هـ ...
 في سنة ١٠١٥ هـ ...
 في سنة ١٠١٦ هـ ...
 في سنة ١٠١٧ هـ ...
 في سنة ١٠١٨ هـ ...
 في سنة ١٠١٩ هـ ...
 في سنة ١٠٢٠ هـ ...

(٩٧) الحوادث الجامعة / ٣٤٥ وانظر جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ، ٢٢٧ ،
 (٩٨) رشيد الدين : جامع التواريخ ص ٣٣٠ .
 (٩٩) المصدر السابق ، مجلد ٢ ج ١ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .
 (١٠٠) الحوادث الجامعة / ١١٣ ، ١١٤ .

الخاتمة

العامّة في أواخر العصر العباسي وفي العهد الأيلخاني طبقة متميزة لها حرفها وأعمالها المهنية وأعرافها ومعتقداتها الدينية وأخلاقها وأنماطها السلوكية. والمجتمع الإسلامي لم يعرف تلك الحواجز الطبقيّة التي تطالعنا عند دراسة المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، ذلك لأنّ المجتمع الإسلامي مجتمع مفتوح يستطيع العضو فيه أن يشق طريقه حسب كفاءته وجهده، وليس هناك حاجز يفصل بين العامّة والخاصة.

وكان تعصب العامّة المذهبي والديني والمحلي ذا أثر سيء على كيان المجتمع الإسلامي الذي مزقته العصبية، فضاعت وحدته وانعدم تماسكه ولم يعد قادراً على الصمود أمام الأعداء الطامعين.

كما كان لضعف السلطة العباسية أثر في انتشار حركة الشطار والعيارين وكثرة اللصوص والمجرمين. فلم يعد الناس يأمنون على أنفسهم وأموالهم، وقد كان نظام الفتوة الجديد الذي ابتكره الناصر خطوة عظيمة لتوجيه طاقة العامّة نحو الخير والصلاح ضمن إطار أخلاقي بعد أن كانت موجهة ضد الدولة. وكانت الأساطير والخرافات تشيع في أوساط العامّة، فكانت تستهويها أحاديث الجن والسمر والألغاز والأعاجيب وتضيف عليها من خيالها الخصب الشيء الكثير.

ويبرز في المجتمع الإسلامي في هذه الفترة اتجاهان متضادان: اتجاه أخلاقي معتدل يقوده العلماء وقد يجنح إلى التطرف متمثلاً في التصوف، واتجاه لا أخلاقي متمثل بالأوباش وأهل المجون والخلاعة ممن انغمسوا في حياة فاسدة داعرة.

وقد ظهرت القوة السياسيّة للعامّة في هذه الفترة، مما جعل الحكام يأخذونها بنظر الاعتبار فيراعون معتقداتها ويلبونها رغباتها وتقرب العباسيون إليها وساهموا في حياتها المعاشية، فمالت اليهم العامّة، وقد بقي الحنين للحكم العباسي لدى العامّة حتى بعد سيطرة الأيلخانيين الذين فرضوا عليها من الضرائب ما أرهاقها وإن لم يخل عهدهم من بعض السلاطين الذين راعوا العامّة وخففوا عنها. وقد استخدمت العامّة العنف والقسوة مع أعدائها وعرفت الأضراب

والتظاهرات وكانت تملي رغبتها على الحكام في بعض الاحيان ، ولكن المرء يستفزع تلك الاعمال الشنيعة التي تمثلت بالقتل والسحل والتشيل ، ولاشك ان هذه الاعمال انما قام بها الأوباش والسفلة ولا يمكن إصاقها بعامة الناس .

وللعامة مواقف مشرفة في الدفاع عن بلادها ضد اخطار الفيضان وضد الغزاة المعتدين .

المصادر

- ابن الأثير : الكامل ج ٩ (مطبعة الاستقامة ، القاهرة) .
ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ١ (مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٩٣٨) .
ابن جبير : رحلة ابن جبير (ط ٢ ، لندن ١٩٠٧ م) .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ ، ق ١ (دار الكتاب اللبناني ١٩٥٧) .
ابن الساعي : الجامع المختصر في عناوين التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، (المطبعة السريانية بغداد ، ١٩٣٤) .
ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (مطبعة الموسوعات ، بمصر ١٣١٧ هـ) .
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨) .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٥ (مكتبة القدسي بمصر ١٣٥١ هـ) .
ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، (ط ١ ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٦٢) .
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد (مطبعة الفرات بغداد ١٣١٥ هـ) .
ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ (مطبعة السعادة بمصر) .
ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٥ (ط ١ ، المطبعة الاميرية ببولاق مصر ١٣٠٣ هـ) .
ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، (مطبعة جمعية المعارف بمصر) .
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، المجلد الثاني (دار الكتاب اللبناني بيروت) .

الحسيني : غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الفبار ،
(مطبعة بولاق بمصر ١٩١٠) .

الخرجي : المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك (مخطوطة مصورة في مكتبة
المجمع العلمي العراقي) .

رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، ج ١ ترجمة محمد صادق
نشأت وفواد عبدالمعطي الصياد (دار احياء
الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠) .

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تأريخ الاعيان ، ق ٢ ج ٨ (ط ١) ، مطبعة دائرة
المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٩٥٢) .

الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، (مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية) .

القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، (دار صادر بيروت ١٩٦٠) .

اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ (ط ١) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،
حيدر آباد الدكن ، الهند) .

المراجع

عباس الغزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ (مطبعة بغداد ١٩٣٥) .